وقفة مع حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن

كتبه محمد الصغير الخميس ٠٩ صفر ١٤٤٣

إن مشكلة الناس اليوم بما فيهم مدعي اتباع الوحي، هي الجهل بحقيقة الإسلام، وهذه المشكلة دوما تدفعهم إلى تصورات باطلة، أو الكفر بنصوص معينة، ومن تلك النصوص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« **لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب، وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق، وهو مؤمن، ولا يغل حين يغل، وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع إليه الناس فيها أبصارهم، وهو مؤمن** »

فهذا الحديث لمن عرف الإسلام لا يمثل مشكلة، بل هو وصف حال الواقع في المعصية حال وقوعه فيها بما يؤكد حقيقة الإسلام أصلا

فالإسلام الخضوع لله وحده، ووقت ارتكاب المعصية المرء قطعا ليس بمسلم لله لأنه غير مطيع لله عز وجل، ولذلك هذا الحديث لم يمثل مشكلة عند الصحابة، ولم يستفسروا عنه، لأنه توكيد لما عرفوه من الإسلام مسبقا، أما الناس اليوم ونظرا لكونها تجهل الإسلام، فقد انقسمت إلى قسمين

القسم الأول المحرفون للكلم عن مواضعه، قالوا أن نفي الإيمان نفي لكمال الإيمان، لا نفي للإيمان نفسه، وهذا هو أبطل الباطل لأنه يعني أن الإيمان بالله يشمل معصية الله، وكأن الله أذن في المعصية سبحانه وتعالى عن ذلك

القسم الثاني وهم أيضا قوم جهلوا الإسلام قالوا هو كافر وقت وقوعه في المعصية إذا تاب منها كان تائبا من الكفر، ولكن هذا خاص بهذه المعاصي المذكورة في الحديث لا يتعداها إلا ما سواها

وفي هذا الكلام قولين فاسدين وهما:

- أن نفي الإيمان يعني الكفر
- أن نفي الإيمان خاص بالمعاصي المذكورة دون غيرها

وإليك بيان فساد هذين القولين

نفي الإيمان يعني الكفر

إن نفي الإيمان الوارد في الحديث لا يعني الكفر لزاما, وإنما يعني وصف الحال وقت الوقوع في المعصية, لأن هناك توبة معروضة متى تاب المرء من معصيته ظل مسلما, وإليك الدليل من كلام ربنا عز وجل

قال ربنا سبحانه:

‹ وَسارِعوا إِلى مَغفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا السَّماواتُ وَالأَرضُ أُعِدَّت لِلمُتَّقينَ ›

آل عمران: ١٣٣

من هؤلاء المتقين الذين أعدت مغفرة الله وجنة عرضها السموات والأرض؟

إنهم :

‹ الَّذينَ يُنفِقونَ فِي السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ وَالكاظِمينَ الغَيظَ وَالعافينَ عَنِ النّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحسِنينَ۝وَالَّذينَ إِذا فَعَلوا فاحِشَةً أَو ظَلَموا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللَّهَ فَاستَغفَروا لِذُنوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَم يُصِرّوا عَلى ما فَعَلوا وَهُم يَعلَمونَ ›

آل عمران: ١٣٤-١٣٥

وما جزاؤهم؟

‹ أُولئِكَ جَزاؤُهُم مَغفِرَةٌ مِن رَبِّهِم وَجَنّاتٌ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها وَنِعمَ أَجرُ العامِلينَ ›

آل عمران: ١٣٦

ولنعد إلى صفات المتقين الذين سماهم الله المتقين في هذه الآيات, وتحديدا إلى قوله تعالى:

وَالَّذينَ إِذا فَعَلوا فاحِشَةً أَو ظَلَموا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللَّهَ فَاستَغفَروا لِذُنوبِهِم

أي هم قوم يمكن أن يقعوا في الفاحشة أو يظلموا أنفسهم في المستقبل, فأداة الشرط "إذا" تفيد المستقبل

فهم إذا وقعوا في الفاحشة أو ظلموا أنفسهم, استغفروا الله وتابوا من معصيتهم

إذاً ربنا سماهم المتقين قبل وقوعهم في الفاحشة, وبعد توبتهم منها, مع كونهم وقت وقوعهم في الفاحشة قطعا ليسوا بمؤمنين ساعتها, كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث أعلاه

ومن ثم نفهم أن كون العبد حال وقوعه في المعصية ليس بمؤمن, لا يعني أنه كافر مطلقا, بحيث أنه إذا تاب كان تائبا من كفر, وإنما يعني وصف حاله تلك, لأنه وقت ممارسته للمعصية قطعا ليس بمطيع لله ومن ثم ليس بمؤمن, فإذا تاب ظل من المتقين كما أخبرت الآية السابقة.

القول الثاني أن العبد ليس بمؤمن حال وقوعه في المعصية خاص بالمعاصي الواردة في الحديث أعلاه, قول باطل من وجهين

الأول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحصر عدم الإيمان في هذه المعاصي دون غيرها, حتى نقول أنه خاص بها, لأن الخصوصية تحتاج دليلا صريحا عليها, كأن يستخدم أداة حصر أو يقول هذا الحكم خاص بهذه المعاصي.

الثاني أن هذا القول يستلزم أن الله أذن في نوع معين من المعاصي, وهذا هو الباطل بعينه فلا إيمان لمن لم ينقد إنقيادا مطلقا لله سبحانه وتعالى في كل شيء, يقول ربنا عز وجل

﴿ قُل إِنّي أُمِرتُ أَن أَعبُدَ اللَّهَ مُخلِصًا لَهُ الدّينَ۝وَأُمِرتُ لِأَن أَكونَ أَوَّلَ المُسلِمينَ۝قُل إِنّي أَخافُ إِن عَصَيتُ رَبّي عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ۝قُلِ اللَّهَ أَعبُدُ مُخلِصًا لَهُ ديني۝فَاعبُدوا ما شِئتُم مِن دونِهِ قُل إِنَّ الخاسِرينَ الَّذينَ خَسِروا أَنفُسَهُم وَأَهليهِم يَومَ القِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبينُ۝لَهُم مِن فَوقِهِم ظُلَلٌ مِنَ النّارِ وَمِن تَحتِهِم ظُلَلٌ ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقونِ ﴾

الزمر: ١١-١٦

إن السبب الذي دفع هؤلاء إلى اعتبار أن المرء يمكن أن يكون مؤمنا حال وقوعه في المعصية, هو جهلهم بالإسلام أولا, وتفسيرهم بنفي الإيمان بالكفر المطلق, لذلك سيجدون أنفسهم يكفرون عند كل معصية وهنا وقع الإشكال عندهم.

إنما ما سبق ليس بالمعقد لمن عرف رحمة الله تعالى, فعقد الإسلام هو عقد على السمع والطاعة, وحين يعصي المرء ربه, فإنه قد شرخ عقد الإسلام, لأنه لم يطع ربه بفعله للمعصية, فإذا

تاب المرء منها, من رحمة اللّٰه أنه يقبل التوبة, ولا تعتبر تلك المعصية كفراً, وإنما زلةً وقع فيها المرء, ويبقى مسلما بعدها, كما كان مسلما قبلها, وهذا محض تفضل من اللّٰه عز وجل ورحمة

فهو يعلم ضعفنا وجهلنا لذلك فتح لنا باب التوبة لنبقي على عقد الإسلام جاريا كلما خرقناه بمعصية وقعنا فيها, رحمة بنا وتفضلا منه سبحانه, والحمد لله رب العالمين.